

حريتي في فمي أحمل

حنان عاد




# حريتي في فمي أحمل

شعر




الناشر : درغام ، بيروت
www.dergham.com



ISBN : 978-9953-401-57-7

لبنان ، كانون الثاني ٢٠١٠

الفهرس

# ١

العمر
الآفل
كمجنون
وسيم

كنتُ لم أشحذْ قلمي كما أشتهي
لم أسنّنْ ذاكرتي
بحدّة آلامي
كنتُ لم أفرِغْ بعد من الصراخ
لم أقفزْ على حبال صمتي العالي
كنتُ لم أرْدِ الرياء
قتيلاً استحق فناءه شديداً
كنتُ لم أحِلْ قاتليّ

ضفادع بلهاء
لا ترعوي عن نقيق
كنتُ لم آمرْ بعد
شرودي الطويل المرير
بالانتحار على صخرة سكوني
كنتُ لم أجتزْ بعد
مطارات تجمّل بالسفر
وجنتيّ الأرض
كنتُ لم أضمّخْ بالأريج
نهراً من القلق ينهشني
كنتُ لم أهمسْ جيّداً
لأمير الخلق داخلي: إنهضْ
فينهض بإجلال مهيب
كنتُ لم أنادِ بعد انتظاراتي
من رهاب الوهم





كنتُ لم أرحلْ بعد
إلى أقاصي شيخوختي
كي يكونَ لي ملءِ الفتوّة
ملء النضارة
حتّى ارتماء الكوكب في المسرّة
كنتُ لم آتِكمْ بعد
بلبان الحبّ
به أبدّد غيمة سوداء
حاربتُها طويلاً ...
كنتُ لم أقِمْ بعد
حصناً من غضب نقيّ
كدعاءٍ مع الفجر يبزغ.

كانت البوصلة لم تعثرْ بعد عليّ
الآن حان وقتي

أرهفوا السمع إليّ
دعوني من الحب أمامكم أنتحب.
إنْ سُئلتُ من أنا حقاً
أنا البكّاءة الأزلية أقلْ
بلى البكّاءة أنا قطّ لن أخجل.
في كلّ دمعة قمر بسّام
من كلّ دمعةٍ رقة هائلة متسلّلة
الى كون بالضجر عامرٍ
بالقسوة الفظيعة عليلٍ.

الكلمات
الراقصة الجميلة الحارّة
من مسامي تدفق
تحت أظافري القصيرة تدفق.
أنا المحمولة على عربةٍ





نصفها الفرح ونصفها للجحيم توأم
يدهمني شعرٌ
على بناني أراه
وعلى جفنيّ ينبت
وارفاً كطمأنينة.
لا أغالي،
أحسّ به كلّ برهة
على راحتيّ ينتظر
على عتبة حدقتيّ مرابطاً
يترصّدني في جغرافيا الجسد والروح.
الشعر أتحسّسه من روحي يقطر
يزنّر بالنار حلمي.
الحبّ المعشّش في أنفاسي دهراً
كموج مسالم في نبضي يتهادى
لا! أرجوكم

لا توقفوا شلاّل العاطفة
الهادر في قلبي.
شجعاناً كونوا حقّاً
إقبضوا على كرة الحبّ المشتعلة
أرقصوا بها معي فرحاً
لوّحوا بنارها
تعالوا بها أبداً نلعب
فلا ننتبه للعمر
آفلاً كمجنون وسيم.

بلى الآن وقتي فاسمعوا:
الشعر نبض حياتي البديلة
جداري الجميل
جداري أنا وحدي
عليه أرسم شراعاً





انزلق على غفلة منّي.
عليه أحفر للفرح
أسماء لبثت أسيرة الروح
وللحبّ حصاداً مباركاً
لن يظفر به لصٌّ
وللرقص خطواً صاخباً مدوّخاً
وللحلم دروباً تملى بالحلم.

لا ، قسماً لن أستعير لقصيدتي
منصّة مجلوبة
برهةً لن أعتليها
سأجعل قلبي المنصة
بعصامية روحي سأحلّق بها
من اهتزازات وجداني سألقّمها
وسوف أقدّ صخراً لها

من ارتجاجات شغفي
كي عليه تستوي.

لم تسمعوا بعد أصواتي جميعها
وجوهي لم تعاينوها بعد كلّها
إلى اللحظة لم تدركوا بعد
كم ثروات تراكمت داخل روحي
ما زلتم في جهل
كم لؤلؤة قبضتُ عليها إلى الآن
كم شراعاً نسجتُ لأسفاري
العصيّة عليكم.

لا لم تعرفوا بعد
أنْ إلى شدقيه
يأخذني التعب أبداً





بلا رحمة.
كسلحفاة أمضي
على ظهري قصيدتي،
أنّى حَلَلْتُ
لي الملاذ تكون
بها من ناركم أحتمي.
من جميع الأرانب سأسخر
من قفزها البهلوانيّ المتذاكي
سأدعها تهرّج ليل نهار
تزرع الوهم
في حدائق المغفّلين
سأتسلّى بقفزها
يوقظ الدهشة البلهاء،
على ألباب الضعفاء يقبض
ويحي ما أكثرهم.

بجلاءٍ أراهم، أراهنّ
ولو من بعيد
بالمئات واقفين، واقفات
عند باب المجد
بالشهرة يقرعونه
بالمال يحومون حوله
بحفنة حسن وغواية
يتذاكون، يتذاكين عليه
بموهبة مترنّحة هزالاً
وحدها تحمل ظلّها الجميل بعيداً
تقرع صدرها
كي يدوم لها قلبها النضر
تغتسل بمجد آخر.





لا لن ألهثَ برهة
ليكون لي المكان
في الواحة
مذ في بطن أمي تكوّنتُ
كان المكان أبداً في انتظاري
معي ولد في كيس الحظ ذاك
في الغلالة الرقيقة
التي غلّفتني جنيناً
وبها خرجتُ الى النور نظيفة
لا حاجة لغسلِ جسدي الصغير.
قيلَ:
كذا وُلِدَتْ
وستلبثُ.

عبثاً تحاولون قبضاً عليّ
بالزئبق أغلّف روحي
بسحرٍ ساحرٍ أنزلق
كلّما مغفّل ظنّ
أنني في إطار أستوي.

الى قعر الروح أغطس أبداً
يعتريني دوار الذهول
لو نحو أنين البشرية استدرتُ
وبدوار الدهشة أُصابُ
كلّما رصدتْ مقلتاي
ملائكة الحب حائمةً
فوق المذابح والمأساة.





كرنفالات الزيف صاخبة
أما هي فتمضي أبداً
تشقّ بآلام فظيعة
دروباً لشعلةٍ يريدون إخمادها.

أتدرون؟
أنهض من رقادي
ألمح ندماً متوثّباً على سريري.
بين الغفوة والنعاس
تراءى لي شعر كثير البهاء
يومض كمقلة حبيبي
إذ يرنو اليّ
ليتني زجرت نومي
كي من بعيد الى يقظتي أشدّه
إلى الهُنا الى ممالك الجسد

هناك لا حظّ ولا حظوة له
القصيدة المتروكة بين النعاس والغفوة
طفل لقيط على عتبة قصر
لن ينقذه بهاؤه الكثير.
الجسد ابن الزمن
جسد القصيدة شرطها
حتى إشعار آخر.

صراخ المعنى أنهكني
يكاد الجوهر يقتلني.
سألبث عمري برمّته
عالياً بالمعنى ملوّحة
سأهزج وأدور
حول الجوهر أدور
أرشّه بعطر من روحي





باللّبان والزهر سأمضي اليه أبداً
سأحوم حوله، به أحوّم ولا أتعب
سألهث خلفه طويلاً
ولن أستكين
أطارده كمن لغالٍ يثأر
قد أقبض على بعضه
قد أحترق لا فرق.

أنا، شاعرةُ الرأفة أمي
أمي رأفة الشعراء.
مليون مرة غلَبَتْهم
ندهتني: يا ضوئي
رقّت عظام الحنونة
فرط مناداتها إياي كل صبح:
يا عظامي!

أمي تناجي في غيابي قمراً
تلاطفه لأنه يراني.



## ٢

أعدّوا
للكون
وليمة
الرحمة
أنشدوا
رخيماً
لمكفوفي
القلوب

**نترفّق** الى مصائرنا
توقاً تورق الهنيهة
بأفخاخ الوهم مطرّزاً.
الكون المهرول الى حتفه
أرعن
لغته في الحبّ بدائيّة
يحفر بأظافره قبره
يخترع من جهله جناحين
يحلّق الى أقاصي الهاوية

بهما يدنو وشيكاً
من سقوطه الأخير.

لكنّ القمر شرارة
ذُرّتْ بحنوّ على الكوكب
القمر مقلة الصمت المضيء
ترقب الكون منذ الأزل
تهدهد أبداً أحلام الأرض.

نور الشمعة
قمر سقط سهواً من علٍ
نارها كخفقة الروح
تتسلّق بالضياء حلمها الأخير.
نور الشمعة قمر جنين
به يسرّ رهين الحلكة.





الوقت مثابر على الاصغاء
ينتظر أن بنا نملأه
لكي يكون.
يناديني أبداً: يا ٱبنتي الصغيرة
يقصّ عليّ أنْ عدمٌ هو
بلا رقصي الساحر
على أبواب اللحظة
يهمس لي أنْ في عروقي
دمه يدفق.
أنا طفلة الوقت أقول:
للوقت طعم الخمرة الألذّ
نحتسيه، يحتسينا
نثمل كلانا
كي يعبر بلا ارتباك

ملاك الرأفة
على جباهنا الكئيبة.

أترونني؟
منهمكة أنا
أريد فكّ لغز الوادي
أطرق أسرار الريح والصواري...
أتوسّد رابية في غيمة
أقطف لحلمي قمراً
رقد طويلاً في بهاء القمر.
من هناك أسأل:
كيف تسير حياة
بكل هذه الفوضى مغلولة؟
المكان ضيّق على الأشياء
مكتظ كذاكرتي





بأحلام حرستُها دهراً
خلفها مشيتُ كضرير
يطارد النور بطيئاً.

الآن عرفتُ
لِم في أسوده القاتم
غارق شَعري.
ذات صباح قرأتُ
أنْ شديدة الوفاء
حتى العظم مخلصة
المرأة ذاتُ أسودِ الشَعر
لمّاعتُه.
مني يقتات وفائي
وشَعري مسافر دوماً
الى عتمة أعظم

آه ايها الوفاء
كم يدلهمّ قلبي كي أستحقّك
كي الى سواد شَعري يرتقي
ايها الوفاء
أنت لعبتي القدريّة
يتقاذفها أبداً قلبي وشَعري.
كأنّي ولدت ليليّة الشَعر
في الوفاء عنيدة
كي تتمَّ المقولة.

حين الطفل البهيّ على ركبتيّ
غبطة عارمة تخطفني،
أخال أحداً نازلاً اليّ
يدرّب قلبي أبداً على الحبّ
والاّ لِم تلك المسرّة الجامحة



أعدّوا للكون وليمة الرحمة
أنشدوا رخيماً لمكفوفي القلوب

لم كلّ هذا النبض المحيي؟
قافلة من الأعمار تلزمني
كي أجاري آلهة الحبّ
المحتشدة في قلبي.
سرب غفير من الأفئدة يعوزني
كي أحيا قليلا بعد.
قلبي ضئيل كثيراً
أمام طاقتي الهائلة
على الحبّ
على الحزن
على البكاء
على مقارعة المستحيل
على نقاء اندثر
على صراخ خافت أنيق
حقاً أشعر بقلبي ينزلق منّي

يستهلك بجنون أنسجته وحناياه
لا يأبه لهزال يلمّ به
إنْ أحبّ كثيراً
إنْ تلهّف كثيراً
التّحنان الأنقى علّة وجوده.

قلبي المضرّج بكآبات عظيمة
لا متّكأ له سوى عتمة الوادي.
كرة النار ألقيها إليك
حاذر احتراقاً
في هائل الحزن.
برفقٍ آحملني الى الضفّة الأخرى
حاذرْ ثنايا روحي من تمزّق.
قلبي خفقانه عنيف كوحش



أعدّوا للكون وليمة الرحمة
أنشدوا رخيماً لمكفوفي القلوب

أضبطْه برأفتك
روّضْه على السكينة...

كآدمي ولد في وادٍ سقفه العتمة
سألبث عمري أفرح كلما أطلّ القمر
أهزج، أهلّل
تماماً كما دويك
حين للمرة الأولى زار المدينة
سيعصاني النوم حتى نومي الأخير
حين القمر من عليائه يسهر عليَّ
كيف أغفو والإله الكرويّ الفضيّ
أمام ناظريّ بكلّ أبّهة الحنوّ؟
أأغمض جفنيّ
كمن يصفق باباً في وجه أمير شيمته النبل؟

أأدير ظهري أنا العليلة بالحب
لفارس بضيائه أبداً أبرأُ ؟

من حياتي المؤجّلة
أقدّ رخاماً سكّرياً
عليه أشيدُ قبري
سعادتي تلبث في الخابية دهراً ،
تمضي تتعتّق ،
ومذاقاً لها لا أعرف.

ينبوعُ صمتي
الصمت المكلوم بالجروح المئة
عمري برمته عنكَ بحثتُ
لَكَمْ في دهاليز الحيرة تهتُ
وسقطتُ في أنفاق التشرّد





والى اللحظة أواصل رقصاً
في عرس دمعي الصاخب المشتعل.

هائمة هناك
في قلب غيمة بيضاء كيمامة
أطلق أمنية
علّي أعثر على عشبة
تختم بناصيتها جرحاً عتيقاً.
أحلّق أحلّق
علّي أفوز بكوكب أزرق مخضوضر
غباره الضوء
والحبّ آخره.
ها مقلتاي تعانقان بحراً من الغيم
معمّداً بالشفق
وبالزرقة مقلّماً.

الغيم الراكض بنقائه
ثلج آخر تنعَم به السماء.
أنا هناك
بيني وبين الأرض غلالة شفافة،
أخترق الغيم المهرول
أنشد من علٍ
يا ناس صدّقوا
لا وقت لديّ
به أحصي استداراتي
الخصبة نحو الشمس.
رجاءً أعيروني لهوكم
كي أهبط بخفة
كحمامةٍ على شريطٍ مكهرب.





وكان الجدار أكبر من السرّ وأعظم.
أنا الظبية المجروحة
بجور الرهافة والصمت
أنا الغزالة البرّية التي
لن ترتق بذكائها الطيبّ
هوةً بين مهابة عريها
وفجاجة تعرّيهم
أنا الريم الهائمة على وجهي
أعدو خلف شرودي
فٱعذروني انْ أقلْ ثانيةً:
لا وقت لدي
به أحصي استداراتي الخصبة
نحو الشمس.
أتسلّق جبال صمتي
خشية أن يبتلعني بحر.

غداً أحمل قلبي وأعدو
لن يخربط القهر دقّاته بعد الآن.
على مهل أهيلوا عليّ التراب
مهلكم! لا تقربوا بالحديد المرقّق من....
قل...ب...ي
وحده أخشى عليه انجراحاً بعد الرحيل
اليوم أمضي لا آبه لجسدي
في قلبي أحمل
جميع من أحببت
كلّ من أحبّني
مهلكم فقط على قلبي
به كلّ ذخيرتي الأخيرة
به خميرة عمري الآفل
به جميع أقماري الوديعة الوارفة
به وديعة الحبّ الثمين





أنا التي بين عظامي
تعشّش الرأفة
أنا التي رهان الرقّة
مفاصلي يستوطن
ودمعي يسابق الغدير....

حين تهيلون علي التراب
أعيدوا للمُلْك صولجانه والتاج
أعدّوا للكون وليمة الرحمة
وأنشدوا رخيماً لمكفوفي القلوب.

## ٣

لن

أخشى

ما

أرى

الأشجار والعصافير تحرس أبداً
شرارة في الكون اسمها الحب
والبطّ العائم منذ دهر في البحيرة
يلقّن البشر بلا كلل
كيف يراقصون أعمارهم
أيضاً
كيف يعومون على سطح كآباتهم.

لا أراك
في مقلب ناءٍ أنتَ
لا وسيلة لبلوغك
لا حبر معي ولا ريشة
يعيرني النادل قلماً
به أكتب ومضةً...
وحده القمر رئيف
ينصت الى همس أناشيدي
أحدّثه بأنْ لا نافذة
منها الى عطفك أرنو.

جرحي الأسودَ
ستلبث قهوتي الصباحية
قهوتي جرحي المفتوح أبداً
على سحر محيّاك





على حنان انزلق من أصابعي
فشممتُ رائحة رحيل أخير
قهوتي جرحي الأسود
في لاشفائه الأزليّ
ترقد حكاية.

أتوارى خلف طفولتي
إلى شفتيّ يصعد قلبي
حين لك الابتسامة،
في مقلتيّ يرقص
هنيهةَ رنوّي اليك
هنا أكثر من ابتسامة
أبعد من نظرة وأعمق
بظلال ابتسامة أتشبّث
كي لا أرتطم بالقسوة.

إنْ أصلِّ عمري كلّه
إنْ الى الأبد أجْثُ
لن تلفظ ذاكرتي
خطيئة مجنّحة
هبطت عنوةً عليّ.

من أنتَ لتبذر تربة العمر
بالورود المستحيلة؟
من أنتَ لتقبضَ على المسافة
بين ضفّتي الصراخ والأهزوجة؟
من أنتَ لتحملَ بعبورك مقلتيّ
لامعتين على كفّ الحيرة؟
إسمعِ ٱلجنّة تئنّ تحت خطوك
أنصتْ الى الزمن يقطر على جبيني
يرسمني أبداً في خلاياك





قوس قزح
به تطارد الدهشة والظلال
وسرّاً تمضي الى ساحرة الضوء.

تعرفُني أنتَ
القوة الجوفاء أمقتُها.
عفّرتَ جبيني
بتربة يدكَ
بعشبها
فجأةً حُبٌّ أخضرُ
نبت على جبهتي الواسعة
برمّته الكون رآني
لمحتني الخليقة جمعاء
المشهد عصيٌّ للكلّ

أما عيناكَ فعاينتا بشجاعةٍ
أخضر جبهتي.

إبتسمْ لي
ترتحِ الملائكة على بوابة قلبي.
إمضِ
ومساءً ارجعْ اليّ
سِرِ ٱلآنَ
حاملاً مقلتيّ على راحة الأبد
صُنْ في صدركَ
غداً إلينا متهادياً
كريمٍ لاهيةٍ
إمضِ... إمضِ
لا تخشَ الريح
وغيرتهم انفضْها كغبارٍ لا أكثر





إمضِ يا رجُلي
يا الوسيم القلب
بهاء من عينيك يسطعُ
به تتلألأ روحك الجميلة.

امرأتُكَ أنا
برمية قدر
دعْ حبنا يفتح الموصد
باباً كان أم قلباً أَمْ يداً
بالشمع الأحمر خُتِمَت
دعْه يشرّع روحَيْنا
للمطر والريح والضحك.

أنا المرأة التي
ما التأم كمالها

قبل أن تلوح لمستك الرؤوف.
أنا التي على ألواح الأثير
حفرتُ قصائد الروح الجريحة
أنا التي مئة حياة
أضيق من حَدْبها الهادر.
هل أطلب كثيراً
لو طال خيالي حباً لا أخ له؟
بقوة الحب الأقوى من الحبّ؟
موقنة كم أنني ربما غير مستحقة
كَمْ عسيرٌ ما أروم
كَمْ مستحيلٌ كَمْ ساذجٌ
لكِنَّ يمامةً لي همستْ
أنْ روحي صيّرتُكَ
كي الروح تصيرَ الطوفان.
من ارتدادات الصّخب المدوّخ





استرددتُ يمامة الحب الناصعة.
أنتَ الفكرة الراقصة
بالرأفة النزقة
أنتَ الخفقة السكرى
بصهيل الشوق والرقة.

المطارات أهرول في أروقتها
أخبّىء في صدري وجهك
يغلي في رأسي ضباب زعلٍ
أما قلبي فسابح في حبٍّ
له من عين الديك الصفاء،
في يدي شيء برّاق صغير
يروي لروحي الحكاية.

الآن لا آبهُ للعالم برمته
لا ذرّة من اكتراثي أهبه
معك الآن أنا
في مداري الأصيل
لا يهمّني بتاتاً
إنْ الكون نسيني
إنْ كفّتْ ذاكراتُ البشر جميعها
عن تذكّري
ما همني لو آسمي
امّحى من مهجة الأرض
ووجدان الريح والقطارات والصواري
ما همّني لو سارت الدنيا
إياي ناسيةً
لأنني خرجتُ على مهرّجيها
أمرتُ القطعان عني ابتعاداً أبدياً





زجرتُها لئلا تحاول جَرّي الى ضوضائها.
فارغ ضوضاؤها وماكر
كذا أراه
ولن أخشى ما أرى.

## ٤

هناك

للدفء

ينصبون

قوس

نصر

## هناك،

بخفّة درّاجة هوائيّة
تعبر الحياة.
الورود المتأهّبة بالعطر والحبّ
كما جيوش للسلام،
تطوّق خصر النهار.
هناك،
لن تلمح عصفوراً هزيلاً

لن تتعثّر بالتغريد الحزين.
لا يتبدّد عمر هناك
ولا ابتسامة تذوي
على بوّابة الانتظار.
للشمس هناك ينتبهون،
ينصبون للدفء قوس نصر.

بي هناك دهشة
أمام الأمكنة الرحبة
كمهجة إله
كالفضاء متحرّراً من أفق.
بي دهشة أمام المارّة
لي يبتسمون أنا المستوحدة،
في قلبي العليل
يضرمون قنديلاً





به شوقٌ عظيم
الى شفاءٍ من العتمة.

هناك على الرصيف أسيرُ
كلّي انتباهٌ
لئلاّ أدوسَ نملة
لا لن أدهسَ عمرها
وهي الماضية بجدٍّ الى الحياة.
لا!
أكرهُ جدّاً
بل أخشى جدّاً
بل... بل...
بل... أرتعدُ جداً
بل... أجنُّ جدّاً جدّاً
إنْ أدُسْ أيّ مخلوق

على شرفة النبض يطلّ.
حقّا قلبي سيدمى
لو فعلتُ.
أأرمي بثقلي على هؤلاء الصغيرات
ومثلي هنّ؟
كلّ لحظة يحاولْنَ
حفظ ماءٍ لوجهٍ
لوجودٍ،
لانتماءٍ.
أحياناً، أنا وهذي النملات سواسية،
مثلهنّ أحملُ في فمي حريتي
أهرولُ بها الى ملاذٍ
منها أقتات كي استمرّ.
ومثلهنّ أيضاً هشّ بقائي
مثلهنّ قد أمضي في برهة،





خلفي تاركة
حبّات حنطة
بدمعي جمعتُها،
بشيء من لحمي وعظامي
رفعتُ لها بيدراً.
والآن؟ هل أمكنكم
تخيّلي وإياهنّ
على الرصيف هناك؟
حقاً أنا الأكثر جبناً ربما
حقاً أنا الأعجز عن أذيّة...ولو...نملة.

## ٥

الآن
أنا

يـد
يمنى
تـدير
طاحونة
الروح

الآن «متتُ فانتبهتُ» أنْ يمكنني التفرّغ للكتابة من اليوم، بل من هذه اللحظة الأثيرة، لحظة انتقالي الى ضفافٍ طالما حلمتُ بها وذرفتُ عمراً برمّته قبل رسوّي عليها. يا ألله! كم ارتحتُ لأنّني متتُ، لأنّني أنزلتُ عن كتفي أخيراً عبء المسمّاة حياة، أو دنيا... أتصدّق أن بهجةً عارمةً غمرتني في نعشي الموصد بإحكام؟ أتصدّق أنّني في خضمّ الموت عثرتُ على قلمي مضغوطاً بمعجزةٍ داخل يدي الباردة المقفلة؟ أأصدّق أنْ وحدها يدي اليمنى دبّتْ فيها الحرارة من جديد؟ لا أدري بِمَ مغايرة هي

عن حرارة جسدي حين في الحياة كان بعد... يا ألله! أأصّدق، أو هل تصدّق معي أنّني استحلتُ في الموت يداً حارّة لمجرّد انتباهي لحظة العبور أنْ بات يمكنني الكتابة حتّى الثمالة، حتّى النشوة، حتّى الانطفاء، حتّى الاضطرام، حتّى الحرية، حتى البكاء، حتّى الجنون، حتّى الطفولة، حتّى الألوهة، بل حتّاها كلّها!

دعني أصدّق أنْ وحده قلمي، الذي هو من خارج ذاتي، من طينة الأشياء الأرضيّة، وحده رافقني الى مثواي. دعني أصدّق أنْ أنا اليد الحارّة التي حملتْ الى موتها قلمها، أنْ أنا اليد الحرّة التي اخترق قلمها الوفيّ الحدودَ الناتئة الصّارخة بين حياة وموت. أرجوكَ دعْني أصدّق أنّ قلمي الجميل الوارف، الحنون، الأمين، السّخيّ، المكتنز منذ يفاعي بصدقٍ عجيب، حضر معي الى هنا. آه! إنها يدي اليمنى! يدي اليمنى التي دبّتْ فيها حرارة بعد موتي، حرارة لا كحرارة جسدي حين في الحياة كنتُ بعد! يدي





اليمنى! الآن تذكّرتُ أنّني طالما حملتُ ساعتي في يدي اليمنى! يا لحظّي الرائع!حرارة يدي وقلمي وساعتي التي طالما في يمناي وضعتُها! اللحظة عرفتُ لم في اليمنى وضعتُها! كي يكون لي الوقت هنا! الوقت برمّته!! بها معي حملتُه حتى إلى هنا! ما لي أصابُ بالدوار غبطةً!؟؟ مع أنني لا رأس لي، بل أنا الآن فقط يد وقلمٌ وساعةٌ، بل وبل يدٌ حارّةٌ ستخطّ بحرارتها والقلم كلّ ما لم تستطعه صاحبتها في خضمّ الحياة. آه! ساعتي كانت دوماً في يمناي كي على الوقت أقبض ساعة أشاء، كي أروّضه وأدير عقربيه، صغيره والكبير، كما تدير شاعرة أصيلة طاحونة الروح. اللحظة تذكّرتُ أيضاً أنّ قلب ساعتي أردتُه دوماً أبيض ناصعاً. لَمْ أقتنِ يوماً ساعة ذات قلب غير أبيض. يا الهي! الآن أيقنتُ... كان عليّ أن أموت كي أدرك أنّني طالما أردتُ قلب ساعتي أبيض تماماً كما كنت أريد لقلبي أنا أن يكون! اذاً، قلب ساعتي ناصع نصاعة قلب إنما اليه تقتُ دوماً.

أقول أردتُ وتقتُ عمداً. لا أدّعي... لا أجرؤ الادّعاء أنّه ناصعاً كان! أصلاً، القلب الأبيض الناصع حقّاً يفقد وهج نصاعته إنْ إليها اطمأنّ برهةً! عليه بالقلق دوماً كي يستحُقّ بجدارة بياضه! نصاعته!

ما لي نسيتُ أو كدتُ أنسى أنّني الآن، بل من الآن فصاعداً يدٌ حارّة حرّة سيحملها قلمها الى ذروة الحرية والغبطة! كيف لا وقلمها حقّق «نبوءة» مرافقة من نحبّ حتى الموت! صحيح، غفلتُ أن أسأل ما اذا كان هو من أحبّني حتى الموت أم أنني أنا من أحببته حتى الموت! لكن لِمَ هذه الأسئلة كلّها؟! المهمّ أنْ ثمّة أحدٌ أحبّ أحداً حتى الموت،أقلّه حتى لا تمسي المقولة، أو النبوءة لا أدري، في قبر التقليد! بلى، المهمّ الآن أنّ لي حريةَ الكتابة، ولي ترفها، ونعمتها لي، ولي أيضاً وأيضاً الزمن الأبيض المطلّ من ساعتي التي طالما أحببتُ وضعها في يدي اليمنى، وطويلاً لم أعرف لِمَ.





يا ألّله! بربّك... سماحاً! غفلتُ للحظةٍ أنّك للأرباب الربّ، لكن قلْ لي أأكتب الآن بقل... بي؟ أم بقلمي؟ الآن فهمتُ! بل في هذه اللحظة أدركتُ أنْ كان عليّ أن أموت لأنتبه أنْ بين قلمي وقلبي فرق بسيط فقط! حرف واحد وحيد!!! وماذا عليّ أنْ بعدُ أعرف؟ يكفي أن ينزلق من قلمي حرف الميم ثمّ ينفتح ويستدير باء حتى أروح أكتب بقلبي! كم جميل أنْ بقلبي أكتب! وكم خطير أيضاً!!

لكن، ما همّني! سأكتب بقلبي قليلاً! به سأكتب، أي بقلبي أنْ من طينة واحدة جُبِل الأطفال والعصافير والأمّهات والملائكة، ولن أنسى،الغزلان أيضاً، وايضاً الورود والفراشات. آه ويحي! نسيتُ أنْ صوت فيروز أيضاً وخاصّة من الطينة عينها جُبِل. على فكرة! أن أذكر صوتها العذب الرخيم وأنا في الموت، يعني أنّ صوتها هنا معي ايضاً! ها أنا أتحسّس ابتسامتي في حرارة يدي! أبتسم لأنّني طالما ردّدتُ أمام أصدقائي وأنا في الحياة، أنْ اذا صوت فيروز لم

يكن في الجنّة فسوف تفقد عندي بريقها ولن يهنأ لي عيش فيها من دونه ذلك الصوت! لكن يا لسذاجتي! وكيف لي أن أذهب الى الجنّة؟ بل هيهات أن تكون موجودة أصلاً! ثمّ لا أدري لِمَ يحلو لي في هذه اللحظة أن أرندح لعصفورة الفردوس؟ «يا حريي يا زهرة ناريّي يا طفلي وحشيّي يا حريّي، طلعنا على الشمس طلعنا على الريح».... وأيضاً «انسى؟ كيف والخمستعشر سني كنت بهالدني وما كنت بهالدني وتصيّف وتشتّي من دوني الدني...وبرد وما إقدر إغفا وصوّر عهالحيطان شمس كبيري بهالليل واقعد حدّا ت إدفا»... يا ألله!! هاتان الأغنيتان أحسبهما لي وحدي! الآن تذكّرتُ أنني كنتُ كتبتُ وأنا في الحياة بعد أنْ للنشيد عبير الحرية، أنْ حبّذا لو أشمّ حريتي قبل أن يغمرني التراب. الآن فهمتُ أيضاً أنْ أنا التي «كنت بهالدني وما كنت بهالدني وتصيّف وتشتّي من دوني الدني...» صحيح هذه أنا التي غنّت بلسانها تلك السيدة الرائعة أيّ روعة.



الآن أنا يد يمنى تدير طاحونة الروح

والدليل أن ذكرى البرد ما تزال الى الآن تلسعني بلؤم حتى وأنا بلا جسد! آه تذكّرتُ أنْ طالما حلا لي مذ أنا صغيرة، إلصاق صفة اللؤم بالبرد. وإلى اللحظة أصرّ على هذه الصفة دون سواها للبرد! انّه اللئيم الأكثر لؤماً، ووحشيّة أيضاً! أعبثاً ترحل السنونو كلّما حلّ شتاء وبرد في مكان ما؟ أعبثاً تنهض الأمّهات من هناءة نومهنّ ليلاً ليُعِدنَ الغطاء الى أجساد فلذاتهنّ؟

أعود الى المخلوقات التي جميعها من طينة واحدة. قاسم مشترك مهمّ جدّاً يجمع في ما بينها: الأجنحة والتحليق! يحلو لي أن أبدأ بالأمهات. حنانهنّ يُنبِت لهنّ أجنحة بها يطرن فوق الكون، يرفرفن بها رأفةً عليه ويسهرن من فوق بتفانٍ على ديمومته! «... وأعشق عمري لأنّي إذا متتُ يوماً أخجل من دمع أمي»! يا ألله كيف سأستطيع البكاء الآن؟ دموع الكون ضئيلة أمام كلّ ذاك البهاء

المتلألىء من الكلمات هذه. لأنّني إذا متت أخجل من دمع أمي! حتى هنا ما زلت أذرف من الدمع أنهاراً ولا أفي هذا الدفق العاطفي والشعري المذهل ذرّةً من حنانه الشاهق! لكثرة ما حفرت هذه الكلمات في قلبي دعوني أهذي أنْ ربّما محمود درويش تفوّق بهذا البرق الشعري عليهم جميعهم ولعلّي كنت سأراه محمود درويش نفسه لو كانت تلك اللمعة وحدها كلّ ما كتبه! بلى وألف بلى! يكفي أن يبتدع امرؤ هذه العبارة كي يصير شاعراً. لا! لا! ليست العبرة في ابتداع أو قول، ليست في مجرّد القول! بل في معجزة نبش فعل الخجل من دمع الأم.كأنني أراه مات برهةً فاختبر ذاك الشعور بالخجل. لأنّني إذا متُ يوماً أخجل من دمع أمي. يا ألله أَلَمْ يطرب فؤادك لكلّ هذا الحنان الطالع من هنا؟

إذاً، كياني برمته استحال الآن يداً حارة سكرى فرحاً بالوقت المنبعث بسخاءٍ من ساعتها. ما لي





أخال نفسي محلّقة على جناح قوس القزح المتلألىء ولا سماء!! ما لي أتلهّى بالطيران والأنوار القزحية ولا أكتب! ألم أحلمْ حياتي كلّها ولو بفسحة طمأنينة لأوافي القصائد الوفيرة المتدافعة في رأسي وقلبي وضميري؟ ها إنني أراها بوضوح الآن، واحدة واحدة تتحضّر للارتماء على صفحاتي البيضاء. لكن كيف كان لي وأنا في الحياة بعد، أن أوقن دوماً أنّ قصيدتي وإن نادتني طويلاً لأجعلها جسداً، فلن ترحل أبداً، بل ستصبر، بل لها قدرة على الصبر هائلة،كأنّ قصائدي غير زمنية، وكأنّ علاقتنا قدريّة محتومة في السّراء والضرّاء. كم آسف لقصائدي الكثيرة التي انتظرتني عمراً وصبرتْ عليّ كلّ هذا الصبر! لكنْ حسناً يمكنني الآن موافاتها، معانقتها، الإصغاء إليها، الاعتذار لها. غير أنّني سأقول لها إنها لطالما سكنتني وأنا في الحياة، لطالما تحسّستُ أنفاسها في صدري وعاينتُ أنوارها وظلالها ومسرّاتها وأتراحها من شقوق الروح! وحسناً أنني متُ كي لا تضيع

مني، كي يكون لي وقت كتابتها. يا لهذا الترف الذي لم أظفرْ به في دنياي! أو، لم أكنْ أريد ترفاً، بل جلّ ما إليه تقتُ أن يكون لي محطّات، ولو قليلة، عندها أرمي دوّامة الصخب والمتاهة كي آخذ بيد قصيدتي وكي بيدي تأخذ، وليكون لي بذلك يقين النبض ويقين الوجود.

الشعر درب إلى يقين الوجود؟! عساه يكونه ولو قليلاً، أو ربّما هو كلّ ما يجعلني أوقن أنّني ذات عمر انوجدتُ. مكتنز هو بسيرتي ومسيري. عامر بلهاثي خلف وميض، خلف ابتسامة، خلف قمر منذور لي وحدي. حتى وأنا هنا، في هدأة الموت، أحسبني أحيا كثيراً في خميرة قصائدي، في عبق لبانٍ لها اخترعته في منافيَّ الرهيبة الكثيرة، في عزلاتي الكثيفة. إذاً، الآن أنا يد يمنى وساعة بيضاء القلب وقلم لا نظيرَ لأمانته وقافلة من القصائد اخترقتني قبل أن تخرق حلكة هذا الكون ولم تأبه قطّ سوى لإيقاعات روحي وأناشيدي...



# مقتطفات نقدية

في «لؤلؤ الـروح على صهوة القيمة» مستوى من مستويات الوعي الصوفي بالعالم، لغة مكثّفة تشرك العقل بالحدس، ونوعٌ من الاستدارة لقيم شعرية يخلو منها كثير من التجارب.

عهد فاضل، «الحياة»، ٢٠٠٦/١١/٢٦

من ثقافة واعية لزمانها، وقيمة الكلام عنه، وفيه، تكتب حنان شعراً معادلاً لنبض الروح، ووزن القيمة التي تدأب في البحث عنها، وتدوينها، بالموسيقى

الكلامية، حيناً، وأحياناً بفلسفة عميقة قلّما نعثر عليها لدى الأقلام الشابة.

إملي نصرالله، «الأنوار» ٢٠٠٦

**حنان** عاد الشاعرة التي عرفت سرّ الحكمة... كأنها تطمئن الحلاج عندما تقاذفه قلباه: قلب سمائه وقلب أرضه... في شعرها عنوانان: الحب والشعر، وأيضاً بلاغة اللغة وجمالها وصدق التعبير عن القلب والعقل.

د.سامي مكارم، ٢٠٠٦/٠٥/٠٤

**لغة** مرصّعة باستعارات وبالدهشة الوجودية الخلاّقة..ألم تقل حنان عاد إنّ لغتها هي في آن فرَسُها، وفِراستُها، وفروسيّتها؟ فرسُها تمتطيه على صهوة القيم، وفِراستها تكتشفُ بها معالِم





الآتي بمنظار شعري كشّاف، أما فروسيّتها فتُنازِلُ بها وقائعَ الحياة القاسية، تُنازل بلغتها، بسلاحها الأمضى القادر على إنصافها...

د. أمين ألبرت الريحاني، ٢٠٠٦/٠٥/٠٤

**شعرها** مجلى لقوة الروح ومضاء الارادة ومجاورة المحسوس والمجرّد.. القصيدة عند حنان تقوم على مجموعة من الثّنائيّات المتضادة الّتي تندرج تحت ثنائيّة رئيسيّة، والشّعريّة فيها هي حصيلة هذا التضادّ بينها، الّذي يقوم على التّعاقب العمودي...

سلمان زين الدين، ٢٠٠٦/٠٥/٠٤

**ينطوي** شعرها على إحساس بالعدم او بالعبث بمعناه الايجابي الذي يحفّز على الخلق والابداع وليس الموت او الاستسلام، وهذا نتاج المكاشفة مع

الذات، الدالّة الى قوة قلب وقوة روح معاً..النزعة التأملية في شعر حنان عاد ربما تأسّست على «استراتيجية» في الكتابة الشعرية لجلب المجرد من عليائه الى ما هو حسّي وغير مطلق، لأنسنة المجرَّد وإقامة حوار معه يجعل من الحياة او احتمال مرور الزمن (العمر) أمراً ممكناً او متحققاً على الأقلّ في القصيدة.

جهاد هديب، عمّان، تشرين الثاني ٢٠٠٤